

مديح النيزك

1

صعدنا بصعود غرناطة
على جناح روح البيازين
وقيل هذا مدخل السماء
ومهبط الظنون واليقين
ومصرع الشهيد
وفيوض أم الماء
ومشهد الذي قضى
بلا جنازة ولا ضريح
والشاهد الحي على الذين يحضرون في الميقات
ويمضون
وهو الآن وحده الذكرى
وهل يكون الذكر
دون الذاكرين ؟

2

من تقاطع حد السماء وحد الرمال
أتوا ،
من بعيد القريب أتوا ،
نزلوا بسهولة ممهدة
لأليف المكان
من نواة مخصبة
وشرائط من صبغة الخلق
صاغوا عصارة فعل الحضارة
حلوا بها حيث كانوا شهودا
على نسق وحوادث
كالريح والاشتعال
كالطيور الكبيرة
حطوا على قرن هذا الجبل
وتمدد ظلهم بالبياض
على كاهل اليوم
واشتعلت في جنان الكهوف
جداول من كل ما لا يقال
زرعوا كرمة
وأقاموا عليها سماء مرصعة بالخيال
وجسورا وأسرعة
وبحارا مشجرة بالحنين
وأقاصيص ملغزة بالسؤال
الوفاء الذي يتلافح في رحم الماء
مد انابيه في الهواء
وسرى في مآهات نسغ الشجر
وتدرج في سلم من تراب
إلى شجر
فسحاب

إلى ذهب في الظلام
بالوصول أضاءوا المآذن
وامتلأت بالعنادل بيض السحب
صعدوا درج الشوق
مستندين على قلم وحجر
وبنوا برماد قليل من العمر
جسرا وأوردة
وتواروا وراء الكنى والحجب
تركوا دمعهم في الزمان المجاور
عينا مبللة بحنين خفيف
وارتقوا صخرة مع سبع بنات
تركن اللآلي في غصنها
والخلاخيل في سلة من حرير
وصنعن ملامح سيدة القصر
من فضة ونحاس
وقلن لسر النوسة
كن من تراب وماء
وسماء موازية لامتداد الضياء
ثم ناديتها باسم غرناطة
اسألوا إن حلتكم بها
شمعة في حداد البياض
مرقت فجأة من ظلام طويل
لمعت فوق قرن الجبل
رسمت قمرا
واختفت في الهواء الفجائي
في خطوة
متأنية بأذخة
مثل لمس الأصابع للوتر المستجيب
ومثل ظلال المآزن
في الليلة المقمرة
من مثول وثيد أمام الزمان المباشر
حتى الزمان المجاور
تغرورق العين من ذكر موتى
قضوا فوق جسر الرماد
ولم يدركوا أن قرب المسافة
شوط بعيد
ليت كل الرامل كن
بما حملت كل باقاتهن الثيرة من أسف وحنين
أمهات توبخن كل أبي عبدالله
وتسخرن من دمه
أخطات وقتها
واكتفت بالزمان المجاور
كي تكتوي بالزمان المباشر .
غرناطة غشت 2002 م